قزحية اللون لوفاء بقاعي

القدس:٢٨-٦-٢٠١٢ ناقشت الندوة ، مجموعة نصوص(**قزحية اللون**) بحضور مؤلفتها **وفاء عياشي-بقاعي**، الصادرة هذا العام ٢٠١٢ عن **دار الأركان للانتاج والنشر في عكا**. وتقع المجموعة التي كتب **الناقد المصري عبد الحافظ بخيت متولي** تقديما لها في ١١٠ صفحات من الحجم المتوسط.

ومما قاله **رفعت زيتون:**

في منطقةٍ بينَ الغيابِ والحضورِ راحتِ الكاتبةُ تبحثُ عن المفردةِ، وجمالِ اللفظةِ ورقّةِ التّعبير.

وبينَ ضفّتيّ البعدِ والاشتياقِ سارتْ في نهرِ البحثِ عنِ الحقيقةِ، وعنِ السّكينةِ، وعنه. هناكَ ركبتْ قاربَ الصّمتِ الذي لم يفارقها طيلة مدّة رحلتها، تلكَ الرّحلةُ التي وخزتها فيها أشواكُ انتظارها كلّما اقتربتْ منْ ورودِ الأملِ بعودةِ ذلكَ الغائبِ الحاضر.

لمْ تنلِ العتمةُ منْ إصرارها وكلّما اشتدّتْ تلكَ العتمةُ تذكّرتْ شروقَ الشّمسِ فأضاءَ لها الطّريقَ.

كانتْ وحيدةً غريبةً في رحلتها منْ غيرِ زادٍ إلّا منْ بعض ذكرى وبعضِ أمل، فكانا طعامها وشرابها، وكانت كلّما داهمها العطشُ ارتوتْ منْ سلسبيلِ ذكراهُ، وكلّما طواها

الجّوعُ فتحتْ خزائنَ الأملِ
جاعلةً منَ الصّحراءِ روضةً خضراءَ ذاتَ ثمارٍ وزهورْ.
وفي الوحدةِ لا بدَّ منَ ابتداعِ الرّفيقِ لتقصيرِ مسافةِ السّفر،
فصاحبتِ الغيمَ والنّجومَ، وتحدّثتْ إلى البحرِ والنّهرِ،
وعاتبتِ النّدى، وعزفتْ سمفونيّةَ الغروبِ في ذاكرةِ الغيابْ،
حملتْ حقيقة سفرها تارةً، وطورًا حملتها الحقيبة.
هذا ما قرأتهُ في دهاليزِ روحها، وأزقّةِ غربتها قبلَ أنْ تفتحَ النّافذةَ لتخرجَ منْ خلالها منْ همِّ الذّاتِ إلى همِّ الآخر لتجدَ ما لا يحتملهُ قلبها، فتقرّر إغلاقَ النّوافذِ والعودةَ إلى قلبها رأفةً بهِ، فتفاجأ بقلبها أنّه غادرها
إلى دمعةٍ في دمشقَ، وقطرةِ دمٍ في القاهرةِ، وصدى أنينٍ في صنعاء.
فلسفةُ الكاتبةِ تظهرُ جليّةً بينَ السّطورِ، وهي فلسفةٌ تحثُّ على تقديسِ الحياةِ التي وهبنا الله إياها ومحبّتها حتّى في أحلكِ الظّروف، كما جاءَ في ص١٤ (عندما تشعرُ بأنّ قطارَ العمرِ قدْ فاتكَ، قفْ على مرفأ
الذّكرياتِ واقطفْ لكَ وردةً منْ بستانِ أحلامك). وكذلك على الحثِّ على إضاءةِ الشّمعةِ في أشدِّ الأوقاتِ ظلمةً، كما قالت في الصفحةِ ذاتها (إذا علقتَ فوقَ شجرةٍ.. اعزفْ فوقَ أغصانها لحنًا تطربْ بهِ
الطّيور).أسلوبُ الكاتبةِ شيّقٌ جميلٌ وليسَ بالسّهلِ، فبعضُ النّصوصِ تضطّرُ القارئَ للعودةِ مرةً أخرى وربّما مرّاتٍ

لكشفِ سرّهِ ومراده. أجادتِ الكاتبةُ في التّصويرِ في أغلبِ صفحاتِ كتابها، ومنْ ذلك على سبيلِ المثالِ، وصفِ شروقِ الشّمسِ وزوالِ الليلِ ص١٧، والعلاقةِ بينَ السّحابةِ والأرضِ العطشى في الصّفحةِ ذاتها، ووصفِ الصّحراءِ ص٢٦ (الصّحراءُ مدٌّ لا ينتهي).

بعضُ النّصوصِ جاءتْ على شكلِ خاطرةٍ، وبعضها على شكلِ همسةٍ رقيقة، وبعضها على شكلِ قصّةٍ قصيرةٍ جدًّا، وأظنّها قدْ أجادتْ ركوبَ بحرها، ومنها على سبيلِ المثالِ قصّةُ الجملِ والجمّالِ ص١٧، وقصّةُ

الرّيحِ والنّسيمِ ص١٨، وقصّةُ الحمامةِ والقشّةِ ص١٩، وقصّةُ بائعةِ الخبزِ والطّيورِ ص.٢٧

الملاحظات:

أولًا : هناكَ بعضُ التّكرارِ في المفرداتِ والمواضيعِ، كالصّمتِ والغيابِ والسّفرِ، وهناكَ بعضُ الفقراتِ تكرّرتْ بألفاظها وفكرتها معَ تغييرٍ طفيفٍ كما جاءَ في ص٣٢ في المساءِ الذي عانقَ الكلماتِ فرقصنَ على أوتارِ الفجر.

ثانيًا : بعضُ الغموضِ اكتنف بعضَ النّصوصِ وكانتِ الكاتبةُ تدورُ حولَ الفكرةِ دونَ الدّخولِ إلى جوهر القصد، وربّما تركتْ ذلك للقارئ مثلما جاءَ في ص ٢٨ أخشى صمتكَ.. ألتمسُ فيهِ صمتي.

ثالثًا: لمْ تخلُ النُّصوصُ من الخطأ النحويّ أو الطباعيّ، ومنْ ذلكَ على سبيلِ المثالِ لا الحصر

-ص٢١، لا تكون.... والصّحيح لا تكنْ.
-ص٢٢، ظلّتْ طريقها.... والصّحيح ضلّتْ طريقها.
-ص٢٤، زمنًا آخرًا.... زمنًا آخرَ "لأنّها ممنوعةٌ منَ الصّرف"
-ص٢٧، محتارة.... والصحيح حائرة "وهي خطأ شائع"
-ص٣٥، ساحبة في بحره.... أظنّها سابحةٌ في بحره
وهناكَ غيرُ ذلك الكثير.

وقال **عيسى القواسمي:**

أبدعت الشاعرة وفاء عياشي ابنة قرية طمرة في كتابها قزحية اللون بلغتها السلسة التي تحاكي مشاعر الذات الإنسانية، وبإسلوب ادبي علمي يرتكز علي خلفية ثقافية علمية مليئة بالوقائع الحياتية وبالخيال الحالم أحيانا أخرى تلك النصوص تدلل على حروف قادمة من شعاب الجليل العريق إلى قواميس اللغة . هي نصوص وأفكار وخواطر شكلت صفحات الكتاب الذي كان كالروابي المتسعة والموغلة في عمق النفس، بحيث يدعك تغوص في مواجهة الأحداث بانفعال، وقد استقت الكاتبة من نبع جبران اللغوي فأحسنت صياغة مفرداتها . الكاتبة وفاء نشطة في أدب الفيس بوك أيضا، لكنها هنا سطرت كتابها بالحكمة والشفافية الأدبية التي ترقى إلى العالمية بالمخاطبة. فكانت تلك السطور بعيدة عن الرتابة في منطقها، وعملت على إيقاظ اللغة من سباتها، لتأخذ مكانها في الوجود. الكاتبة

خبيرة في التربية وهي أيضا تكتب في أدب الأطفال.
وقال **موسى أبو دويح:**
قدّم لنصوص وفاء عياشي- بقاعي النّاقد المصريّ (عبد الحافظ بخيت متولي)، وأخذت ثلاث فقرات من التّقديم وكتبت على الغلاف الأخير. وفي التّقديم مبالغة كبيرة في الثّناء والإطراء والمديح؛ حيث جاء فيه:(إنّي أحيّي الكاتبة الكبيرة، على هذا الجهد العظيم، وأشدّ على أياديها، لما تقدّم من مقولات فكريّة وفنّيّة، تسهم في رقيّ العقل العربيّ.)
قسّمت الكاتبة كتابها إلى ثلاثة فصول: سمّت الأوّل: (همسات)، والثّاني: (قصّة في عين الزّمن)، والثّالث: (شروق). فالهمسات خواطر ومقتطفات ومختصرات موغلة في الرّمزيّة والتّلاعب بالألفاظ:
ففي الصّفحة (٢٨) مثلاً جاءت المقتطفات: (أخشى صمتك... ألتمس به صمتي). و(نظرت ميلاً... فوجدتك ظلاً في مرآتي). و(لم تكن هناك... بل كنت هنا). و"قم... واحذف من حروفي ما تشاء... وحدي أنا أقرأ ما أشاء."

وفي صفحة (٣٠): (في عتمة الضّوء، يدرك البهاء حضورك في ضوء العتمة). و(كلّما طال غيابك، أدرك الحرف قيمة وجودك). و"يقف الصّمت عاجزًا أمام ضجيج غيابك".

وفي صفحة (٣٢): (المساء عانق الكلمات... فرقصنا على أوتار الفجر). و(عانق المساء الكلمات... فرقصت على أوتار الفجر). و(احترفت لعبة الحروف، فثارت الكلمات ثورتها في غيابك). و"مالت الوردة فوق شفاه الأرض فثار عطر الثّرى"

وفي صفحة (٣٣): (أنت لست إلا جناح طائر، تحوم في فضاء قصيدتي). و(وردتان في حديقة الأيام تمسكان المدى). و"أنت ليس إلا قارورة زمني".

وأمّا الفصل ففيه ثماني قصص، قرأتها جميعًا ولم يعلق بذهني شيء منها.

وأمّا الفصل الثّالث (شروق): ففيه اثنا عشر نصًا، تناولت فيها الكاتبة مواضيع سياسيّة، عن البلاد العربية كفلسطين والعراق، وعن قرية الدّامون بالذّات، من قرى فلسطين الّتي يقوم على أطلالها اليوم سجن الدّامون الّذي يعذّب فيه أبناء أهل فلسطين.

وفي هذا القسم موضوع بعنوان: (سخرية القدر)؛ الّذي هو بحقّ من أفضل مواضيع الكتاب؛ حيث عمل يهود على تدمير المدن والقرى العربيّة، الّتي هجّروا منها أهلها بالقتل والتّرهيب، وجعلوا منها مستوطنات وكيبوتسات، وادّعوا أنّها لهم من الأزل، وأخذ ادلاؤهم السّياحيّون يشرحون للسّيّاح والقادمين، بلغة عبريّة، كيف كان يهود يعيشون

فيها منذ مئات السّنين؛ ممّا أثار غضب الكاتبة، فأخذت الحديث من المتحدّث العبريّ، وبيّنت أنّ هذه البلاد والمدن والقرى هي عربيّة، عاش فيها جدّها وجدّتها، وأبوها وأمّها، وعمّها وخالها، وهم الّذين زرعوها وقطفوا ثمار أشجارها وجمعوا حبوبها ومحاصيلها، وقطفوا زيتونها وعصروه زيتًا، وعمروها مئات السّنين قبل أن يغتصبها يهود عام ١٩٤٨م.

أمّا أخطاء الكتاب الإملائيّة والنّحويّة والطّباعيّة فحدّث ولا حرج؛ حيث لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من خطأ أو أكثر، بل بلغت الأخطاء في صفحة (٦٨) مثلاً (٦) أخطاء وبلغت (٥) في صفحة.١٠١

وأمّا الأخطاء الّتي وقفت عليها في الرّواية فمنها:

١. في صفحة (٥): (علامة هامّة) والصّحيح: مهمّة، وجاءت أيضًا على الغلاف الأخير مرّتين.
٢. في صفحة (١٣): (من زمن التّية) والصّحيح: التيه بالهاء بدل التاء المربوطة.

٣. في صفحة (١٨): (لا تستطيع أن تحجب نورها في وضوح النّهار) والصّحيح: في وضح النّهار.

٤. في صفحة (٢٠): (الكلام الّذي لم نقوله بعد) والصّحيح: لم نَقُلْهُ.
٥. في صفحة (٢١): (ولكن لا تكون كالبحر الغاضب) والصّحيح: لا تَكُنْ.

وقال **طارق السيّد**:

كتاب جميل مزين بلوحات اجتماعية، انسانية، سياسية من توقيع الكاتبة وفاء عياشي.

ومن خلال اهداء الكاتبة للكتاب في الصفحات الأولى عرّفت كتابها باللوحات، وكانت صادقة مع نفسها في هذا التعريف.

قزحية اللون ،هذا العنوان مشتق من ألوان قوس قزح وجمال لوحاته، ولكني أحببت أن أعتبره قزحية عين أرى من خلالها محطات منوعة ولوحات جميلة، توزعت اللوحات ما بين رسالة الحبيب مثل فنجان قهوة، ولوحات كان في بعضها شيئ من السرعة مثل (من قلب الحياة)، حتى اللون السياسي أخذ من حيز صفحاتها كما في بغداد قلعة الأسود.

بذلك تكون الكاتبة ارتكزت على لغة بسيطة خفيفة قريبة من جدار القلب العاشق والعازف على أوتار الحسّ البشري.

أسلوب الكاتبة : الأسلوب في بعض من الأحيان كان يحمل فلسفة خاصة، وفي بعض النصوص ترى الكاتبة تضعك أمام لغز عليك أن تحاول فك حروفه لتجد نفسك

أمام عاطفة صادقة مليئة بالمشاعر.
الكتاب يدلّ على وعي كبير من كاتبة مثقفة مطلعة، فنجدها تبحر في خواطرها ومقالاتها ولوحاتها المتباينة مابين النصوص الطويلة والقصيرة، وهذا يدل ربما على وقت طويل حتى تجمعت لوحات الكتاب، فنجد بعض النصوص تحمل توقيع عام ٢٠٠٦ مثل لوحة (الزمان.(وأكثر ما أعجبني بين دفتي هذا الكتاب هو الدمج والمزاوجة ما بين الألوان الطبيعية، ولهذا فأنا أرى من خلال الغلاف أنه لوحة قد زينته الكاتبة بدوحة.

وتحدث أيضا كل من إبراهيم جوهر، طارق السيد، و د. إسراء أبو عياش، وسننشر مداخلاتهم عندما يتكرمون بارسالها الينا مشكورين.
وفي نهاية الأمسية قدم الأديب إبراهيم جوهر درع ندوة اليوم السابع تكريما للكاتبة عياشي.